الباب الثالث

أحكام الجهاد

obeikandl.com

تختلف أحكام الجهاد بين حالةٍ وأخرى، ووضعٍ وثانٍ، بين أن يكون المسلمون أقليةً في زمنٍ أو في منطقةٍ، وبين أن يكون المجتمع مسلماً والدولة مسلمةً تقوم بأمرالله.

obeikandl.com

الفصل الأول:

الأقليات المسلمة

وهي التي تعيش وسط مجتمعٍ غير مسلمٍ ، فإن كانت لها الحرية بتأدية شعائرها فيمكن بقاؤها في ذلك المجتمع ، وإلا فعليها الهجرة إلى بلدانٍ إسلاميةٍ لتعيش بين إخوانها ، وتُمارس عباداتها وحياتها الإسلامية .

وإذا كانت مضطرةً إلى البقاء في ذلك المجتمع كأن تكون تلك المنطقة موطنها، واعتنقت الإسلام هناك ، أو لها الحق في ممارسة عبادتها ، فيجب أن يكون أفرادها مثالاً حيّاً ، يُمثّلون الإسلام في أخلاقهم وأقوالهم وأعمالهم، فيراهم أعداؤهم فيعرفون من معاملاتهم ، وسلوكهم ، عظمة الإسلام ، وأنه الدين الحق ، ودين الفطرة ، فيقبلون عليه . ومن المعلوم أن الإسلام قد انتشر حتى عمّ بعض المناطق في جنوب شرقي آسيا عن طريق التعرّف على معاملة المسلمين وسلوكهم، وكذا في جهات أخرى.

وإن جهاد الأقليات المسلمة إنما هو في تمثُّل الإسلام تمثُّلاً صحيحاً، وتنظيم أنفسهم تنظيماً دقيقاً ، كأنهم دولة ضمن دولةٍ غير أنها غير معروفة رسمياً، والصبر على الأذى إن أصابهم من أفراد المجتمع الذي يعيشون على كرهٍ ، و على تحمّل الشدّة. شأنهم في ذلك شأن المسلمين في العهد

المكيّ حيث كان ينالهم من مشركي قريشٍ الأذى الكثير ، فكانوا يصبرون، ويبيّنون تعاليم دينهم ، ويتمثّلونها في سلوكهم وذلك جهادهم. وكذا الأمر بالنسبة إلى بداية الدعوة في كل آنٍ ومكانٍ .

وعلى إخوانهم في الأمصار الإسلامية مساعدتهم. ودراسة أوضاعهم، وتقديم الخطط لهم لتحسين مصالحهم ووسائل حياتهم، ودعمهم المادي والمعنوي، ورعاية شؤونهم ، فإذا كانوا يُعانون ضغطاً مثلاً من مجتمعهم، فيمكن إجراء مفاوضاتٍ مع حكوماتهم للتخفيف عنهم، وإذا دعت الحاجة وكانت الإمكانات متاحةً فيمكن إعلان الجهاد في سبيل إنقاذ إخوانهم، ولنشر الإسلام هناك ، أو السماح للمجاهدين بالتحرّك إلى تلك الجهات.

وكذا شأن المستضعفين الذين يعيشون في مناطق متباعدةٍ أو تحت حكم ظالمين.

ومن الواجب في هذه الأيام دراسة مناطق الأقليات المسلمة ، والمناطق التي يعيشون فيها مستضعفين ، وبحث شؤونهم ، وطرق مساعدتهم وتعليم ذلك في المدارس والجامعات حتى نُثير الهمم ، ويمكن دعمهم ومساعدتهم و ...

الفصل الثاني:

الدولة المسلمة

متى استطاع المسلمون أن يُطبّقوا ما شرع الله لهم ، عليهم أن يختاروا منهم ولياً لأمرهم ، سواء أكانوا أكثريةً أم أقليةً ، إذ ليس المهم الكثرة والقلّة ، بل المهم اتباع ما أنزل الله ، سواء أكان السكان جميعاً من المسلمين أم أكثريتهم أو بعضهم ولكن الآخرين يتبعونهم وينقادون لهم ، وتعيين الأمير واجب إذ هو الذي يقود الناس ، ويحملهم على الجادة ، وهو واجهتهم. عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : (من أطاعني فقد أطاع الله ، ومن عصاني فقد عصى الله ، ومن يعص الأمير فقد عصاني، وإنما الإمام جُنّة، يُقاتَل من ورائه، ويُتّقى به ، فإن أمر بتقوى الله وعدل فإن له بذلك أجراً، وإن قال بغيره فإن عليه منه)[1].

عن أنس، عن النبي ﷺ، قال : (اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل حبشي ، كأن رأسه زبيبة)[2].

عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : (عليك السمع والطاعة .

(١) متفق عليه.
(٢) رواه البخاري.

في عسرك ويسرك ، ومنشطك ومكرهك، وأثرةٍ عليك)[1].

فُرض الجهاد على المسلمين بعد الهجرة النبوية إلى المدينة أي بعد أن أصبحت لهم أرض معروفة ، ودولة تعمل على الدعوة ونشرها، وتحمي ديارها، وتُدافع عن رعاياها، وتحول دون قيام ظلمٍ في الأرض أوفسادٍ . وعلى هذا فالجهاد لتكون كلمة الله هي العليا ، عبادةً ، ومنهاجاً ، وعدلاً ، ومظلة أمنٍ.

١ - **الدعوة** : إن الدعوة واجبة على كل مسلمٍ في الوسط الذي يعيش فيه بالحكمة والموعظة الحسنة. ﴿ **ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضلّ عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين**﴾[2]. وذلك مهما كان مستوى المسلم العلمي، وإن كان العلم مطلوباً بل واجب طلبه لأنه سبب معرفة أمور دينه التي هي أساس نجاحه في الدنيا وفوزه في الآخرة . عن عبدالله بن عمرو ، رضي الله عنهما، قال : قال رسول الله ﷺ : (بلّغوا عني ولو آية، وحدّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب عليّ متعمداً فليتبوّأ مقعده من النار)[3].

قال رسول الله ﷺ، في خطبة حجة الوداع : (فليبلّغ الشاهد الغائب)[4].

عن عبدالله بن مسعود ، رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ، قال : (نضّر الله عبداً سمع مقالتي، فحفظها ووعاها وأدّاها ، فربّ حامل فقهٍ غيرُ فقيهٍ، وربّ حامل فقهٍ إلى من هو أفقه منه)[5].

((١) رواه مسلم . (٢) سورة النحل : الآية ١٢٥. (٣) رواه البخاري .
(٤) متفق عليه . (٥) متفق عليه .

وفي رواية للبخاري : (فربّ مبلَّغٍ أوعى من سامعٍ).

وفي رواية لأحمد : (فربّ مُبلَّغ أحفظ من سامعٍ).

ومن واجب المسلم الدعوة إلى الله، والتعريف بدينه سواء أكان يعيش منفرداً وسط مجتمعٍ ليس بمسلمٍ ، أم ضمن أقليةٍ تُقيم في بلادٍ ليست مسلمةً، أم يقطن في مصرٍ إسلاميٍ مع إخوانه. ولكن الدولة الإسلامية مسؤولة عن الدعوة ضمن حدودها ، والعمل على نشرها خارج ديارها في البلدان الأخرى ، وعليها حمايتها ورعاية الأفراد الذين يقبلونها ، وهذا هو من الجهاد الواجب عليها.

ولما تمّ صلح الحديبية بين رسول الله ﷺ، ومشركي قريشٍ ، فأمن رسول الله ﷺ ، جهة الجنوب ، كما أمن ﷺ ، الوضع داخل المدينة إذ انتهى اليهود منها حيث أُجلي بنو قينقاع، وبنو النضير ، وقُضي على بني قريظة، وغدت الدولة الإسلامية على شيءٍ من القوة ، عندها بعث رسول الله ﷺ، الرسل ومعهم الكتب إلى الملوك والأمراء يدعوهم فيها إلى الإسلام ، ويحمّلهم المسؤولية عن رعاياهم. واستمرّ ببعث الرسل حتى وفاته ﷺ.

١ - دعوة كسرى والفرس :

بعث ﷺ ، عبدالله بن حُذافة السهمي إلى كسرى عظيم الفرس، وبعث دِحْيَة بن خليفة الكلبي إلى هرقل عظيم الروم ، وأرسل حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس كبير القبط ، وأرسل عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي ملك الحبشة . وبعث سليط بن عمرو العامري إلى هوذة بن علي الحنفي . وبعث شجاع بن وهب من بني أسد بن خزيمة إلى الحارث بن

أبي شمِر الغسّاني. وبعث العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوي اخي بني عبدالقيس صاحب البحرين، وأرسل عمرو بن العاص إلى جَيْفَر بن جُلَنْدي وعبّاد بن جُلَنْدي الأزديَّين صاحبي عُمان.

ولننظر في نص بعض كتب رسول الله ﷺ، إلى الأمراء والملوك لنعرف أسلوب الدعوة . كتب رسول الله ﷺ ، إلى كسرى ، وبعث الكتاب مع عبدالله بن حُذافة السهمي، فيه : بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس. سلام على من اتبع الهدى ، وآمن بالله ورسوله، وشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلى الناس كافّةً ، لينذر من كان حيّاً، أسلم تسلم ، فإن أبيت فعليك إثم المجوس.

حدّثنا ابن حميد ، قال حدّثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق عن يزيد بن أبي حبيب ، قال : وبعث عبدالله بن حُذافة بن قيس بن عدي بن سعد ابن سهم، إلى كسرى بن هرمز ملك فارس، وكتب معه. بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس. سلام على من اتّبع الهدى، وآمن بالله ورسوله ، وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأدعوك بدعاء الله فإني أنا رسول الله إلى الناس كافّةً لأُنذر من كان حيّاً، ويحق القول على الكافرين ، أسلم تسلم ، فإن أبيت فإن إثم المجوس عليك.

فلما قرأه مزّقه ، وقال : يكتب إليّ هذا وهو عبدي.

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق، عن عبدالله بن أبي بكر ، عن الزهري ، عن أبي سلمة بن عبدالرحمن بن عوف، أن عبدالله بن حُذافة قَدِم بكتاب رسول الله ﷺ ، على كسرى، فلما قرأه

شقّه، فقال رسول الله ﷺ : مزّق ملكه ، حين علم أنه شقّ كتابه.

ثم رجع إلى حديث يزيد بن أبي حبيب . قال : ثم كتب كسرى إلى باذان، وهو على اليمن : أن ابعث إلى هذا الرجل الذي بالحجاز رجلين من عندك جَلْدين، فليأتياني به، فبعث باذان قهر مانه وهو بابويه - وكان كاتباً حاسباً بكتاب فارس - وبعث معه رجلاً من الفرس يقال له : «خُرّخُسره» وكتب معهما إلى رسول الله ﷺ، يأمره أن ينصرف معهما إلى كسرى، وقال لبابويه : ائت بلد هذا الرجل، وكلّمه، وائتني بخبره، فخرجا حتى قدما الطائف فوجدا رجالاً من قريشٍ بنَخِب من أرض الطائف فسألاهم عنه، فقالوا : هو بالمدينة، واستبشروا بهما وفرحوا ، وقال بعضهم لبعضٍ : أبشروا فقد نَصب له كسرى ملك الملوك، كفيتم الرجل.

فخرجا حتى قدما على رسول الله ﷺ، فكلّمه بابويه، فقال : إن شاهنشاه ملك الملوك كسرى، قد كتب إلى الملك باذان، يأمره أن يبعث إليك من يأتيه بك ، وقد بعثني إليك لتنطلق معي، فإن فعلت كتب فيك إلى ملك الملوك ينفعك ويكفّه عنك، وإن أبيت فهو من قد علمت ! فهو مهلكك ومهلك قومك، ومخرّب بلادك، ودخلا على رسول الله ﷺ، وقد حلقا لحاهما، وأعفيا شواربهما، فكره النظر إليهما، ثم أقبل عليهما، فقال : ويلكما من أمركما بهذا؟ قالا أمرنا بهذا ربنا - يعنيان كسرى - فقال رسول الله ﷺ : لكن ربي قد أمرني بإعفاء لحيتي، وقصّ شاربي. ثم قال لهما : ارجعا حتى تأتياني غداً، وأتى رسول الله ﷺ ، الخبر من السماء أن الله قد سلّط على كسرى ابنه شيرويه، فقتله في شهر كذا وليلة كذا وكذا من الليل، بعد ما مضى من الليل، سلّط عليه ابنه شيرويه فقتله.

قال الواقدي : قتل شيرويه أباه كسرى ليلة الثلاثاء لعشر ليالٍ مضين من جمادى الأولى من سنة سبعٍ لست ساعاتٍ مضت منها.

رجع الحديث إلى حديث محمد بن إسحاق عن يزيد بن أبي حبيب. فدعاهما فأخبرهما، فقالا : هل تدري ما تقول؟ إنا قد نقمنا عليك ما هو أيسر من هذا؛ أفنكتب هذا عنك ونخبره الملك! قال : نعم، أخبراه ذلك عني، وقولا له : إن ديني وسلطاني سيبلغ مابلغ ملك كسرى، وينتهى إلى منتهى الخفّ والحافر؛ وقولا له : إنك إن أسلمت أعطيتك ما تحت يديك، وملكتك على قومك من الأبناء، ثم أعطى « خُرّخُسره» مِنْطَقَةً فيها ذهب وفضة، كان أهداها له بعض الملوك.

فخرجا من عنده حتى قدما على باذان فأخبراه الخبر، فقال : والله ما هذا بكلام ملكٍ، وإني لأرى الرجل نبيّاً كما يقول، ولننظرن ما قد قال ؛ فلئن كان هذا حقاً ما فيه كلام، إنه لنبيّ مرسل ، وإن لم يكن فسنرى فيه رأينا.

فلم ينشب باذان أن قدم عليه كتاب شيرويه، أما بعد فإني قد قتلت كسرى، ولم أقتله إلا غضباً لفارس لما كان استحلّ من قتل أشرافهم، وتجميرهم في ثغورهم، فإذا جاءك كتابي هذا فخذ لي الطاعة ممن قبلك، وانظر الرجل الذي كان كسرى كتب فيه إليك فلا تُهِجه حتى يأتيك أمري فيه.

فلما انتهى كتاب شيرويه إلى باذان قال : إن هذا الرجل لرسول، فأسلم، وأسلم، وأسلمت الأبناء معه من فارس من كان منهم باليمن، فكانت حِمْيَر تقول لخُرّخُسره : ذو المِعْجَزة ، للمِنْطَقة التي أعطاه إياه رسول

الله ﷺ - والمنْطَقة بلسان حِمْيَر المعْجَزة فبنوه اليوم ينسبون إليها خُرّخُسره ذو المعْجَزة.

وقد قال بابو يه لباذان : ما كلمت رجلاً قطّ أهيب عندي منه، فقال له باذان : هل معه شُرَط؟ قال : لا [1].

٢- دعوة قيصر والروم :

وكتب رسول الله ﷺ، إلى هرقل مع دِحْية بن خليفة الكلبي يدعوه إلى الإسلام. وذلك في مدة هدنة الحديبية، ونصه : بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم. سلام على من اتبع الهدى، أما بعد : فإني أدعوك بدعاية الإسلام ، أسلم تسلم، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فعليك إثم الأريسيين [2]. ﴿ **قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون** ﴾[3].

وعندما قرأ هرقل رسالة النبي ﷺ، أرسل يبحث عن بعض المتصلين بالنبي ﷺ وفضّل أن يكونوا من قومه وعشيرته، فعلم بوجود جماعة من التجار فيهم أبو سفيان صخر بن حرب، فدعاهم لمجلسه مع الترجمان.

حدثنا ابن حميد، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق، عن ابن شهاب الزهري، عن عبيدالله ابن عبدالله بن عتبة بن مسعود، عن عبدالله ابن عباس، قال : حدثني أبو سفيان بن حرب، قال : كنا قوماً تجاراً، وكانت الحرب بيننا وبين رسول الله قد حصرتنا حتى نهكت أموالنا ،

(١) تاريخ الطبري.
(٢) الأريسيين : الفلاحين، ويقصد هنا الرعية.
(٣) سورة آل عمران .

فلما كانت الهدنة بيننا وبين رسول الله ﷺ، لم نأمن ألا نجد أمناً ، فخرجت في نفرٍ من قريشٍ تجارٍ إلى الشام، وكان وجه متجرنا منها غزّة، فقدمناها حين ظهر هرقل على من كان بأرضه من فارس، وأخرجهم منها، وانتزع له منهم صليبه الأعظم، وكانوا قد استلبوه إياه، فلما بلغ ذلك منهم، وبلغه أن صليبه قد استُنقذ له - وكانت حمص منزله - خرج منها يمشي على قدميه مُتشكّراً الله حين ردّ عليه ماردّ، ليصلي في بيت المقدس، تُبسط له البُسط، وتُلقى عليها الرياحين، فلما انتهى إلى إيلياء، وقضى فيها صلاته، ومعه بطارقته وأشراف الروم، أصبح ذات غداة مهموماً يقلّب طرفه إلى السماء، فقال له بطارقته : والله لقد أصبحت أيها الملك الغداة مهموماً، قال : أجل، أُريت في هذه الليلة أن مُلك الختان ظاهر، قالوا له : أيها الملك، ما نعلم أمةً تختتن إلا يهود، وهم في سلطانك وتحت يدك، فابعث إلى كل من لك عليه سلطان في بلادك فمُره فليضرب أعناق كل من تحت يديه من يهود، واسترح من هذا الهم، فوالله إنهم لفي ذلك من رأيهم يديرونه، إذ أتاه رسول صاحب بصرى برجلٍ من العرب يقوده - وكانت الملوك تهادى الأخبار بينها - فقال : أيها الملك، إن هذا الرجل من العرب من أهل الشاء والإبل ، يُحدّث عن أمرٍ حدث ببلاده عجب، فسله عنه.

فلما انتهى به إلى هرقل رسول صاحب بصرى، قال هرقل لترجمانه : سله ماكان هذا الحدث الذي كان ببلاده؟ فسأله، فقال : خرج بين أظهرنا رجل يزعم أنه نبيّ ، قد تبعه ناس وصدّقوه، وخالفه ناس، وقد كانت بينهم ملاحم في مواطن كثيرةٍ، فتركتهم على ذلك . قال : فلما أخبره الخبر ، قال : جرّدوه، فجرّدوه، فإذا هو مختون، فقال هرقل : هذا والله الذي أُريت، لا ما تقولون، أعطوه ثوبه، انطلق عنا. ثم دعا صاحب

شرطته، فقال له : قلّب لي الشام ظهراً وبطناً ، حتى تأتيني برجلٍ من قوم هذا الرجل - يعني النبي ﷺ.

قال أبو سفيان : فوالله إنا لبغزّة ، إذ هجم علينا صاحب شرطته ، فقال: أنتم من قوم هذا الرجل الذي بالحجاز ؟ قلنا : نعم ، قال : انطلقوا بنا إلى الملك ، فانطلقنا ، فلما انتهينا إليه قال : أنتم من رهط هذا الرجل ؟ قلنا : نعم ، قال فأيكم أمسّ به رحماً ؟ قلت : أنا .

قال أبو سفيان : وايم الله ما رأيت من رجلٍ أرى أنه كان أنكر من ذلك الأغلف ـ يعني هرقل ـ فقال : ادنه فأقعدني بين يديه ، وأقعد أصحابي خلفي ، ثم قال : إني سأسأله ، فإن كذب فردّوا عليه ، فوالله لو كذبت ماردّوا عليّ، ولكني كنت امرأً سيّداً أتكرّم عن الكذب ، وعرفت أن أيسر ما في ذلك إن أنا كذبته أن يحفظوا ذلك عليّ ، ثم يُحدّثوا به عني، فلم أكذبه ، فقال : أخبرني عن هذا الرجل الذي خرج بين أظهركم يدّعي مايدّعي ، قال : فجعلت أزهّد له شأنه وأُصغّر له أمره ، وأقول له : أيها الملك ما يهمّك من أمره ! إن شأنه دون ما يبلغك ، فجعل لا يلتفت إلى ذلك ، ثم قال أنبئني عما أسألك عنه من شأنه . قلت : سل عما بدا لك . قال : كيف نسبه فيكم ؟ قلت : محض أوسطنا نسباً .

قال : فأخبرني ، هل كان أحد من أهل بيته يقول مثل ما يقول ، فهو يتشبّه به ؟ قلت : لا .

قال : فهل كان له فيكم مُلْك فاستلبتموه إياه ، فجاء بهذا الحديث لتردّوا عليه ملكه ؟ قلت : لا .

قال : فأخبرني عن أتباعه منكم ، من هم ؟ قال : قلت : الضعفاء

والمساكين ، والأحداث من الغلمان ، والنساء وأما ذوو الأسنان والشرف من قومه ، فلم يتبعه منهم أحد .

قال : فأخبرني عمن تبعه ، أيحبه ويلزمه أم يقليه ويفارقه ؟ قال : قلت: ماتبعه رجل ففارقه .

قال : فأخبرني كيف الحرب بينكم وبينه ؟ قال : قلت : سجال يُدال علينا ، وندال عليه .

قال : فأخبرني هل يغدر ؟ فلم أجد شيئاً مما سألني عنه أغمزه فيه غيرها ، قلت : لا ، ونحن منه في هدنةٍ ، ولا نأمن غدره . قال : فوالله ما التفت إليها مني ، ثم كرّ عليّ الحديث .

قال : سألتك كيف نسبه فيكم ، فزعمت أنه محض ، من أوسطكم نسباً . وكذلك يأخذ الله النبيّ إذا أخذه ، لا يأخذه إلا من أوسط قومه نسباً.

وسألتك : هل كان أحد من أهل بيته يقول بقوله ، فهو يتشبّه به . فزعمت أن لا .

وسألتك : هل كان له فيكم مُلك فاستلبتموه إياه ، فجاء بهذا الحديث يطلب به ملكه . فزعمت أن لا .

وسألتك عن أتباعه . فزعمت أنهم الضعفاء ، والمساكين ، والأحداث ، والنساء . وكذلك أتباع الأنبياء في كل زمان .

وسألتك عمّن يتّبعه ، أيحبه ويلزمه أم يقليه ويفارقه ؟ فزعمت أنه لا يتبعه أحد فيُفارقه ، وكذلك حلاوة الإيمان لا تدخل قلباً فتخرج منه .

وسألتك : هل يغدر ؟ فزعمت أن لا . فلئن كنت صدقتني عنه ليغلبنّي على ما تحت قدميّ هاتين ، ولوددت أني عنده فأغسل قدميه . انطلق لشأنك .

قال : فقمت من عنده ، وأنا أضرب إحدى يدي بالأخرى ، وأقول : أي عباد الله ، لقد أَمِرَ أَمْرُ ابن أبي كبشة أصبح ملوك بني الاصفر يهابونه في سلطانهم بالشام[1]

حدثنا ابن أبي حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : حدثني ابن إسحاق ، قال : قال ابن شهاب الزهري : حدثني أسقف للنصارى أدركته في زمان عبد الملك بن مروان ، أنه أدرك ذلك من أمر رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وأمر هرقل ، وعَقَلَه ، قال : فلما قدم عليه كتاب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، مع دِحية بن خليفة ، أخذه هرقل ، فجعله بين فخذيه وخاصرته . ثم كتب إلى رجل بـ « رومية » كان يقرأ من العبرانية ما يقرؤونه، يذكر له أمره ، ويصف له شأنه ، ويخبر بما جاء منه ، فكتب إليه صاحب رومية : إنه للنبي الذي كنا ننتظره ، لا شك فيه ، فاتبعه وصدّقه.

فأمر هرقل ببطارقة الروم ، فجُمعوا له في دسْكرة ، وأمر بها فَأُشْرِجَتْ [2] أبوابها عليهم ، ثم اطلع عليهم من عُلِّيَّةٍ له ، وخافهم على نفسه ، وقال : يامعشر الروم ، إني قد جمعتكم لخير ، إنه قد أتاني كتاب هذا الرجل يدعوني إلى دينه ، وإنه والله للنبيّ الذي كنا ننتظره ، نجده في كتبنا ، فهلّموا فلنتبعه ونصدّقه ، فتسلم لنا دنيانا وآخرتنا .

قال: فنخروا نخرة رجلٍ واحدٍ ، ثم ابتدروا أبواب الدسكرة ليخرجوا منها فوجدوها قد أُغلقت ، فقال : كرّوهم عليّ - خافهم على نفسه -

---

(١) تاريخ الطبري .

(٢) أُشْرِجت : سُدّت .

فقال : يـامعشر الروم ، إني قد قلـت لكم المقالـة التي قلت لأنظـر كيف صلابتكم في دينكـم لهذا الأمر الذي قد حدث ، وقد رأيـت منكم الذي أُسرّ ، فوقعوا له سُجّداً ، وأمر بأبواب الدسكرة ففتحت لهم ، فانطلقوا .

حـدثنا ابـن أبي حميد، قـال : حدثنـا سلمة ، قـال : حدثنـا محمد بـن إسحاق ، عن بعـض أهل العلم ، أن هرقـل قال لدحية بـن خليفة حين قدم عليـه بكتاب رسول اللـه ، صلى الله عليه وسلـم : ويحك ! والله إني لأعلم أن صاحبكم نبيّ مرسل ، وأنـه الذي كنا ننتظره ، ونجده في كتبنا ، ولكـني أخـاف الروم على نفسي ، ولـولا ذلك لا تبـعـته ، فاذهـب إلى « صغاطر » الأسقف ، فاذكر له أمـر صاحبكم ، فهو والله أعظم في الروم مني ، وأجوز قولاً عندهم مني ، فانظر ما يقول لك .

قال : فجاءه دِحْية ، فأخبره بما جاء بـه من رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، إلى هرقل ، وبما يدعوه إليه ، فقال « صغاطر » صاحبك والله نبيّ مرسل ، نعرفه بصفته ، ونجده في كتبنا باسمه .

ثم دخل فـألقى ثياباً كـانت عليه سوداً ، ولبـس ثياباً بيضاً ، ثـم أخذ عصاه ، فخرج على الروم وهم في الكنيسة ، فقـال : يامعشر الروم ، إنه قد جاءنا كتاب من أحمد عبده ورسوله .

قال فوثبوا عليه وثبة رجلٍ واحدٍ ، فضربوه حتى قتلوه . فلما رجع دحْية إلى هرقـل فأخبره الخبر ، قال : قـد قلت لـك : إنا نخافهـم على أنفسنا ، فصغاطر — والله — كان أعظم عندهم وأجوز قولاً مني .

حدثنـا ابن أبي حميـد ، قال : حـدثنا سلمـة ، قال : حـدثنا محمـد بن إسحاق ، عن خالد بن يسار ، عن رجـل من قدماء أهل الشام ، قال: لما

أراد هـرقل الخروج مـن أرض الشـام إلى القسطنطينيـة ، لما بلغه مـن أمـر رسول الله ، صلى اللـه عليه وسلم ، جمع الروم فقـال : يامعشر الروم ، إني عارض عليكـم أموراً ، فـانظروا فيـمَ قد أردتها ، قـالوا : مـا هي ؟ قـال : تعلمون واللـه أن هذا الـرجل لنبـيّ مرسل ، إنـا نجده في كتـابنا ، نعـرفه بصفته التي وصف لنا ، فهلّموا فلنتّبعْه ، فتسلم لنا دنيانا وآخرتنا ، فقالوا: نحـن نكون تحت يـدي العرب ، ونحـن أعظـم الناس ملكـاً ، وأكثرهـم رجالاً، وأفضلهم بلداً .

قـال : فهلّمـوا فلأعطيـه الجزيـة في كـل سنـةٍ ، أكسر عني شـوكتـه ، وأستريح مـن حربـه بمالٍ أعطيه إياه ، قـالوا : نحـن نعطي العـرب الذلّ والصغار ، بخـرج يأخذونـه منا ، ونحـن أكثر الناس عـدداً ، وأعظمهم ملكاً ، وأمنعهم بلداً ، لا والله لا نفعل هذا أبداً .

قال : فهلّموا فلأ صالحه على أن أعطيه أرض سورية ، ويدعني وأرض الشام — قال : وكانت أرض سورية أرض فلسطين ، والأردن ، ودمشق ، وحمص ، ومادون الدرب من أرض سورية ، وكـان ما وراء الدرب عندهم الشأم — فقالوا له : نحن نعطيه أرض سورية وقد عرفت أنها سرّة الشام ، والله لانفعل هذا أبداً .

فلما أبوا عليه ، قال : أما والله لترونّ أنكم قد ظفرتم إذا امتنعتم منه في مدينتكـم . ثم جلس على بغلٍ لـه ، فانطلق حتـى إذا أشرف على الدرب استقبل أرض الشام ، ثم قال : السلام عليك أرض سورية تسليم الوداع ، ثم ركض حتى دخل القسطنطينية [1].

(١) تاريخ الطبري .

وروى ابن حبّان أن دِحْية عندما جاء وافى قيصر ببيت المقدس ، فرمى الكتاب على بساطه وتنحّى ، فلما انتهى قيصر من الكتاب ، أخذه وأمّن من جاء به ، فظهر له دِحْية ، فطلب من دِحْية، أن يأتيه في عاصمته ، فلما جاءه أمر بأبواب قصره فغلقت ، ثم أمر منادياً ينادي : ألا إن قيصر قد اتبع محمداً وترك النصرانية ، فأقبل جنده وقد تسّلحوا حتى أطافوا به ، فقال لرسول رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « قد ترى أني خائف على مملكتي » ثم أمر مناديه فنادى : « ألا إن قيصر قد رضي عنكم ، وإنما اختبركم لينظر كيف صبركم على دينكم ، فارجعوا » فانصرفوا ، وكتب إلى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : إني مسلم . وبعث إليه بدنانير ، فقال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : (وكذب عدوّ الله ، وهو على دين النصرانية) ، وقسم الدنانير .

وفي عدم إسلام قيصر دليل على أنه قد ضنّ بالملك ، وطلب الرئاسة وآثرهما على الإسلام ، ولو أراد الله هدايته لوفّقه كما وفّق النجاشي، فإنه لما أسلم ما زالت عنه الرياسة.

٣- دعوة المقوقس والقبط : بعث الرسول ﷺ، كتابه إلى المقوقس - جريج بن مينا - ملك الاسكندرية وعظيم القبط مع حاطب بن أبي بلتعة، فقال خيراً، وقارب الأمر ، ولم يسلم، وأهدى إلى النبيّ ﷺ مارية، وأختها سيرين، وقَيْسَرى ، فتسرّى مارية ، وهي أم ولده إبراهيم، ووهب سيرين لحسان، وهي أم ولده عبدالرحمن، وجاريةً أخرى سوداء اسمها « بَريرة »، وغلاماً خصيّاً اسمه « مأبور »، وأهداه ألف مثقال ذهب ، وبغلةً اسمها « دلدل » ، وحماراً أشهب، يقال له « يعفور »، وفرساً هو « اللزاز »، وعسلاً وأشياء أخرى.

وعندما جات رسالة المقوقس إلى الرسول ﷺ ، قال : (ضنّ الخبيث بملكه، ولا بقاء لملكه).

٤- دعوة النجاشي والأحباش : حدثنا ابن أبي حميد، قال : حدثنا سلمة، قال : حدثنا ابن إسحاق، قال : بعث رسول الله ﷺ ، عمرو بن أُميّة الضَّمْريّ إلى النجاشي في شأن جعفر بن أبي طالب وأصحابه، وكتب معه كتاباً :

بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد رسول الله إلى النجاشي الأصحم ملك الحبشة، سلم أنت، فإني أحمد إليك الله، الملك، القُدُّوس، السلام، المؤمن ، المهيمن، وأشهد أن عيسى ابن مريم روح الله وكلمته، ألقاها إلى مريم البتول، الطيّبة، الحصينة، فحملت بعيسى، فخلقه الله من روحه، ونفخه، كما خلق آدم بيده ونفخه، وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له، والموالاة على طاعته ، وأن تتبعني، وتُؤمن بالذي جاءني، فإني رسول الله، وقد بعثت إليك ابن عمي جعفراً ونفراً معه من المسلمين، فإذا جاءك فأقرهم، ودع التجبر ، فإني أدعوك وجنودك إلى الله، فقد بلّغت ونصحت، فاقبلوا نُصحي، والسلام على من اتبع الهدى.

فكتب النجاشي إلى رسول الله ﷺ : بسم الله الرحمن الرحيم. إلى محمد رسول الله من النجاشي الأصحم بن أبجر. سلام عليك يا نبي الله ورحمة الله وبركاته، من الله الذي لا إله إلا هو، الذي هداني إلى الإسلام. أما بعد، فقد بلغني كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من أمر عيسى، فورب السماء والأرض إن عيسى ما يزيد عما ذكرت ثُفْروقاً[1]، إنه كما قلت، وقد عرفنا ما بُعِثْتَ به إلينا، ، وقد قرّبنا ابن عمك وأصحابه. فأشهد أنك رسول الله

(١) الثفروق : قمع التمرة .

صادقاً مُصدَّقاً، وقد بايعتك وبـا يعت ابن عمك، وأسلمت على يديه لله رب العالمين، وقد بعثت إليك بابني « أرهـا بن الأصحم بن أبجر، فإني لا أملك إلا نفسي؛ وإن شئت أن آتيك فعلت يا رسول الله، فإني أشهد أن ما تقول حق. والسلام عليك يا رسول الله.

وحُدِّثت عـن محمد بن عمر، قال : أرسـل رسول الله ﷺ، إلى النجاشي ليـزوجه أم جيبـة بنـت أبي سفيـان ، ويبعث بها إليـه مـع مـن عنده مـن المسلمين ، فأرسـل النجاشي إلى أم حبيبـة يخبرها بخطبـة رسول الله ﷺ ، إياها ، جـاريةً له يقال لها« أبـرهة » فأعطتها أو ضـاحاً[1] لها وفتخـاً[2]، سروراً بذلك، وأمـرها أن توكّل مـن يزوجها، فوكلـت خالد بن سعيـد بن العاص، فـزوّجها، فخطب النجـاشي على رسول الله ﷺ، وخطب خـالد فأنكح أم حبيبـة، ثم دعا النجاشي بـأربعمائة دينار صداقها، فـدفعها إلى خالـد بن سعيد، فلما جـاءت أم حبيبة تلـك الدنانير ، قـال : جاءت بها أبرهة فأعطتها خمسين مثقالاً ، فقالـت : كنت أعطيتك ذلك وليس بيدي شيء ، وقد جاء الله عزّ وجل بهذا.

فقالت أبرهة : قد أمرني الملك ألا آخذ منك شيئاً، وأن أردّ إليك الذي أخذت منك، فرددته، وأنا صاحبة دهن الملك وثيابه، وقد صدّقت محمداً رسول الله، وآمنت به، وحاجتي إليك أن تقرئيه مني السلام.

قالت : نعم. وقد أمر الملك نسـاءه أن يبعثن إليك بما عندهن من عود وعنبر، فكان رسول الله ﷺ يراه عليها وعنده فلا يُنكره.

قالت أم حبيبـة : فخرجنا في سفينتين، وبعث معنا النواتي حتـى قدمنا الجار ، ثم ركبنا الظهر إلى المدينة، فوجدنا رسول الله ﷺ ، بخيبر ، فخرج

(١) الأوضاح : الحلي من الفضة. (٢) الفتخة : الخلخال أو ما يوضع في الساعد.

من خرج إليه ، وأقمت با لمدينة حتى قدم رسول الله ﷺ، فدخلت إليه ، فكان يسائلني عن النجاشي ، وقرأت عليه من أبرهة السلام، فردّ رسول الله ﷺ عليها. ولما جاء أباسفيان تزويج النبي ﷺ، أم حبيبة ، قال : ذلك الفحل لا يقدَعُ أنفه [1].

وقد ثبت أن الرسول ﷺ ، صلّى صلاة الغائب على النجاشي عندما ما علم بوفاته، وذلك في العام التاسع من هجرته ﷺ.

٥- دعوة الحارث بن أبي شَمِر الغسّاني :

أي وكان بغوطتها : أي وهو محلّ معروف كثير المياه والشجر . (في جلق - حرستا اليوم) بعث رسول الله ﷺ، شجاع بن وهب إلى الحارث ابن أبي شَمِر الغساني . وبعث معه كتاباً فيه : بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد رسول الله إلى الحارث بن أبي شَمِر، سلام على من اتبع الهدى وآمن به وصدق، وإني أدعوك أن تؤمن بالله وحده لا شريك له، يبقى لك ملكك. وختم الكتاب ، قال شجاع ، رضي الله عنه : فخرجت حتى انتهيت إلى بابه ، فأقمت يومين أو ثلاثة، فقلت لحاجبه : إني رسول رسول الله ﷺ ، إليه . فقال لا تصل إليه حتى يخرج يوم كذا، وجعل حاجبه يسألني عن رسول الله ﷺ، ومايدعو إليه، فكنت أُحدّثه فيرقّ حتى يغلبه البكاء ، ويقول : إني قرأت في الإنجيل، وأجد صفة هذا النبي بعينه، فكنت أراه : أي أظنّه يخرج بالشام، فأراه قد خرج بأرض القرظ : أي ورق أو ثمر شجر السلم، فأنا أومن به وأُصدّقه. وأنا أخاف من الحارث بن أبي شَمِر أن يقتلني ، فكان هذا الحاجب يكرمني ، ويُحسن ضيافتي ، ويُخبرني عن الحارث باليأس منه. ويقول : هو يخاف قيصر.

(١) تاريخ الطبري .

فخرج الحارث يوماً، وجلس ، وعلى رأسه التاج، وأذن لي عليه ، فدفعت إليه كتاب رسول الله ﷺ، فقرأه ، ثم رمى به ، ثم قال : من ينزع مني ملكي، أنا سائر إليه، ولو كان باليمن جئته. عليّ بالناس. فلم يزل جالساً يعرض عليه حتى الليل، وأمر بالخيل أن تنعل، ثم قال لي : أخبر صاحبك بما ترى، وكتب إلى قيصر يخبره الخبر ، وصادف أن كان عند قيصر دِحْية الكلبي ، رضي الله عنه ، بعثه إليه رسول الله ﷺ. فلما قرأ قيصر كتاب الحارث، كتب إليه : لا تَسِرْ إليه، واله عنه، أي لا تذكره، واشتغل بإيلياء : أي بيت المقدس، ومعنى إيلياء بالعبرانية بيت الله، والمراد باشتغاله بذلك أن يُهيّىء لقيصر الإنزال ببيت المقدس، فإنه نذر المشي من حمص، وقيل من قسطنطينية إلى بيت المقدس شكراً لله تعالى حيث كشف عنه جنود فارس، وأظهر الله تعالى الروم على فارس، ففرشوا له بُسطاً ، ونثروا عليها الرياحين، وهو يمشي عليها حتى بلغ بيت المقدس. فجاء إليه كتاب قيصر : أي الذي فيه يلهو عنه ولا يذكره، وأنا مقيم فدعاني، وقال : متى تريد أن تخرج إلى صاحبك ؟ قلت : غداً فأمر لي بمائة مثقالٍ ذهباً، ووصلني حاجبه بنفقةٍ وكسوةٍ، وقال لي ذلك الحاجب : اقرأ على رسول الله ﷺ، مني السلام، وأخبره أني مُتّبع دينه. قال شجاع : فقدمت على النبي ﷺ، فأخبرته بما كان من الحارث، قال : (باد) أي هلك ملكه ، وأقرأته السلام من الحاجب، وأخبرته بما قال ، فقال رسول الله ﷺ : (صدق).

وفي كلام بعضهم وبعض أهل السير على أن الحارث أسلم، ولكن قال : أخاف أن أُظهر إسلامي فيقتلني قيصر. وذكر ابن هشام وغيره أن شجاع بن وهب إنما توجّه إلى جبلة بن الأيهم.

ويقال إن شجاع بن وهب أُرْسِلَ إلى الحارث وإلى جبلة بن الأيهم ، وإن شجاعاً قال له : يا جبلة إن قومك نقلوا هذا النبي من داره إلى دارهم ، يعني الأنصار، فآووه، ومنعوه، ونصروه وإن هذا الدين الذي أنت عليه ليس بدين آبائك، ولكنك ملكت الشام، وجاورت الروم، ولو جاورت كسرى دنت بدين الفرس، فإن أسلمت أطاعتك الشام، وهابتك الروم، وإن لم يفعلوا كانت لهم الدنيا، وكانت لك الآخرة، وقد كنت استبدلت المساجد بالبيع ، والأذان بالناقوس، والجمع بالشعانين ، وما كان عند الله خير وأبقى. قال جبلة : إني والله لوددت أن الناس اجتمعوا على هذا النبي اجتماعهم على من خلق السموات والأرض، وقد سرّني اجتماع قومي له ، وقد دعاني قيصر إلى قتال أصحابه يوم مؤتة فأبيت عليه ، ولكني لست أرى حقاً ولا باطلاً وسأنظر .

وفي كلام بعضهم أنه أسلم وردّ جواب كتاب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وأعلمه بإسلامه , وأرسل الهدية ، وكان ثابتاً على إسلامه لزمن عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، فإنه حجّ في خلافته[1] .

٦ - دعوة المنذر بن ساوي وقومه :

بعث رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوي وبعث معه كتاباً فيه : بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله إلى المنذر بن ساوي ، سلام عليك ، فإني أحمد الله إليك الذي لا إله إلا هو ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله . أما بعد : فأني أذكرك الله عزّ وجلّ ، فإنه من ينصح فإنما ينصح لنفسه ، وإنه من يطع رسلي ويتبع أمرهم فقد أطاعني ، ومن نصح لهم فقد نصح

(١) السيرة الحلبية .

لي ، وإن رسلي قد أثنوا عليك خيراً ، وإني قد شفعتك في قومك ، فاترك للمسلمين ما أسلموا عليه ، وعفوت عن أهل الذنوب فاقبل منهم ، وإنك مهما تصلح فلن نعزلك عن عملك ، وما أقام على يهوديته أو مجوسيتها[1] .

وأما العلاء بن الحضرمي فقدم على المنذر بن ساوي ، فقال له : يامنذر إنك عظيم العقل في الدنيا ، فلا تصغرن عن الآخرة ، إن هذه المجوسية شر دينٍ ، ليس فيها تكرم العرب ، ولا علم أهل الكتاب ، ينكحون ما يستحيا من نكاحه ، ويأكلون ما يتكرم عن أكله ويعبدون في الدنيا ناراً تأكلهم يوم القيامة ، ولست بعديم عقلٍ ، ولا رأيٍ ، فانظر : هل ينبغي لمن لا يكذب أن لا تُصدّقه ، ولمن لا يخون أن لا تأمنه ، ولمن لا يخلف أن لا تثق به ، فإن كان هذا هكذا ، فهو هذا النبي الأميّ الذي والله لا يستطيع ذو عقلٍ أن يقول : ليت ما أمر به نهى عنه ، أو ما نهى عنه أمر به ، أو ليته زاد في عفوه ، أو نقص من عقابه ، إن كل ذلك منه على أُمنية أهل العقل وفكر أهل البصر .

فقال المنذر : قد نظرت في هذا الذي في يدي فوجدته للدنيا دون الآخرة ، ونظرت في دينكم ، فوجدته للآخرة والدنيا ، فما يمنعني من قبول دينٍ فيه أمنية الحياة وراحة الموت ، وقد عجبت أمس ممن يقبله ، وعجبت اليوم ممن يردّه ، وإن من إعظام ماجاء أن يعظم رسوله ، وسأنظر[2] .

وأسلم المنذر بن ساوي وحسن إسلامه .

---

(١) السيرة الحلبية .

(٢) الروض الأنف - السهيلي .

٧ - دعوة هوذة بن علي وقومه بني حنيفة :

بعث رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، سَليط بن عمرو العامري إلى هوذة بن عليّ ، صاحب اليمامة ، وأرسل معه كتاباً فيه : بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله إلى هوذة بن عليّ ، سلام على من اتبع الهدى ، وأعلم أن ديني سيظهر إلى منتهى الخفّ والحافر أي حيث تقطع الإبل والخيل ، أسلم تسلم ، واجعل لك ما تحت يدك .

فلما قدم عليه سَليط بكتاب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، مختوماً ، أنزله وحيّاه ، وقرأ عليه الكتاب فردّ ردّاً دون ردّ فكتب إلى النبي ، صلى الله عليه وسلم : ما أحسن ما تدعو إليه وأجمله ، وأنا شاعر قومي وخطيبهم ، والعرب تهاب مكاني فاجعل إليّ بعض الأمر أتبعك . وأجاز سَليطاً ، رضي الله تعالى عنه ، بجائزة ، وكساه أثواباً من نسج هجر ، فقدم بذلك كله على النبيّ ، صلى الله عليه وسلم ، فأخبره ، وقرأ النبيّ ، صلى الله عليه وسلم ، كتابه ، وقال : (لو سألني سيابة[1] ما فعلت ، باد وباد ما في يديه).

فلما انصرف رسول الله ، صلى الله عليه من الفتح جاءه جبريل عليه الصلاة والسلام ، فأخبره بأن هوذة قد مات ، فقال صلى الله عليه وسلم : (أما إن اليمامة سيخرج بها كذاب يتنبّأ ، يُقتل بعدي). فقال قائل : يا رسول الله من يقتله ؟ فقال رسول الله ﷺ : (أنت وأصحابك) فكان ذلك[2] .

---

(١) سيابةً : قطعة من الأرض .
(٢) السيرة الحلبية .

٨ - دعوة ابني الجُلَنْدي وأهل عُمان :

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عمرو بن العاص ، رضي الله عنه ، إلى جَيْفَر وعبد ابني الجُلَنْدي ، وبعث معه كتاباً فيه : بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد بن عبد الله إلى جيفر وعبد ابني الجلندي . سلام على من اتبع الهدى . أما بعد : فإني أدعوكما بدعاية الإسلام ، أسلما تسلما، فإني رسول الله إلى الناس كافةً ، لأنذر من كان حيّاً ، ويحق القول على الكافرين ، وإنكما إن أقررتما بالإسلام ولّيتكما ، وإن أبيتا أن تقرّا بالإسلام فإن ملككما زائل عنكما ، وخيلي تحلّ : أي تنزل بساحتكما ، وتظهر نبوتي على ملككما ، وختم رسول اله ،صلى الله عليه وسلم ، الكتاب .

قال عمرو : خرجت حتى انتهيت إلى عُمان ، فعمدت إلى عبد ، وكان أحلم الرجلين وأسهلهما خلقاً ، فقلت : إني رسول رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، إليك ، وإلى أخيك . فقال : أخي المقدم عليّ بالسنّ والملك ، وأنا أوصلك به حتى يقرأ كتابك . ثم قال : وما تدعو إليه ؟ قلت : أدعوك إلى الله وحده ، وتخلع ما عُبد من دونه ، وتشهد أن محمداً عبده ورسوله . قال : ياعمرو ، إنك ابن سيد قومك فكيف صنع أبوك ؟ يعني العاص بن وائل ، فإن لنا فيه قدوةً . قلت : مات ولم يؤمن بمحمدٍ ، صلى الله عليه وسلم ، ووددت له لو كان آمن وصدّق به ، وقد كنت قبل على مثل رأيه حتى هداني الله للإسلام. فقال : متى تبعته ؟ قلت : قريباً . فسألني : أين كان إسلامي ؟ قلت : عند النجاشي . وأخبرته أن النجاشي قد أسلم .

قال : فكيف صنع قومه بملكه ؟ قلت : أقرّوه واتّبعوه . قال : والأساقفة : أي رؤساء النصرانية ، والرهبان . قلت : نعم .

قال : انظر يا عمرو ما تقول ؟ إنه ليس من خصلةٍ في رجلٍ أفضح له : أي أكثر فضيحةً من كذب . قلت : كذبت ، وما نستحلُّه في ديننا .

ثم قال : ما أرى هرقل علم بإسلام النجاشي . قلت له : بلى .

قال : بأي شيءٍ علمت ذلك ياعمرو ؟ قلت : كان النجاشي ، رضي الله عنه ، يخرج له خراجاً ، فلما أسلم النجاشي ، وصدّق بمحمدٍ ، صلى الله عليه وسلم ، قال : لا والله ، لوسألني درهماً واحداً ما أعطيته ، فبلغ هرقل قوله . فقال له أخوه : أتدع عبدك لا يخرج لك خراجاً ، ويدين بدينٍ ، محدثاً ، فقال هرقل : رجل رغب في دينٍ واختاره لنفسه ما أصنع به ؟ والله لولا الضنّ بملكي لصنعت كما صنع .

قال : انظر ما تقول ياعمرو . قلت : والله صدقتك .

قال عبد : فأخبرني : ما الذي يأمر به وينهى عنه ؟ قلت : يأمر بطاعة الله عزّ وجلّ ، وينهى عن معصيته ، ويأمر بالبر وصلة الرحم ، وينهى عن الظلم والعدوا ن ، وعن الزنا وشرب الخمر ، وعن عبادة الحجر ، والوثن ، والصليب .

فقال : ما أحسن هذا الذي يدعو إليه ، لوكان أخي ينابعني لركبنا حتى نؤمن بمحمدٍ ، ونصدقّ به ، ولكن أخي أضنّ بملكه من أن يدعه ويصير ذنباً : أي تابعاً .

قلت : إنه إن أسلم ملّكه رسول اله ، صلى الله عليه وسلم ، على قومه ، فأخذ الصدقة من غنيّهم فردّها على فقيرهم ، قال : إن هذا الخلق

حسن ، وما الصدقة ؟ فأخبرته بما فرض رسول الله ، صلى الله عليه وسلم، من الصدقات في الأموال . ولما ذكرت المواشي ، قال : ياعمرو ، يُؤخذ من سوائم مواشينا التي ترعى في الشجر، وترد المياه . فقلت : نعم. فقال: والله ما أرى قومي في بُعد دارهم، وكثرة عددهم يطيعون بهذا.

قال عمرو : فمكثت أياماً بباب جيفر ، وقد أوصل إليه أخوه خبري ، ثم إنه دعاني ، فدخلت عليه ، فأخذ أعوانه بضبعي [1] ، قال : دعوه ، فأرسلت ، فذهبت لأجلس ، فأبوا أن يدعوني أجلس ، فنظرت إليه ، فقال : تكلم بحاجتك ، فدفعت إليه كتاباً مختوماً ، ففضّ خاتمه ، فقرأه حتى انتهى إلى آخره ، ثم دفعه إلى أخيه فقرأه ، ثم قال : ألا تخبرني عن قريشٍ كيف صنعت ؟ فقلت : اتبعوه ، إما راغب في الدين و إما راهب مقهور بالسيف . قال : ومن معه ؟ قلت : الناس قد رغبوا في الإسلام ، واختاروه على غيره ، وعرفوا بعقولهم مع هدى الله إياهم أنهم كانوا في ضلالٍ مبينٍ ، فما أعلم أحداً بقي غيرك في هذه الخرجة ، وأنت إن لم تسلم اليوم وتتبعه تطؤك الخيل وتُبيدخضراءك . فأسلم تسلم ، ويستعملك على قومك ، ولا تُدخل عليك الخيل والرجال .

قال : دعني يومي هذا ، وارجع إليّ غداً .

فلما كان الغد أتيت إليه ، فأبى أن يأذن لي ، فرجعت إلى أخيه ، فأخبرته أني لم أصل إليه ، فأوصلني إليه ، فقال : إني فكرت فيما دعوتني إليه ، فإذا أنا أضعف العرب إن ملّكت رجلاً ما في يدي ، وهو لا تبلغ خيله ها هنا . قلت : وإن بلغت خيله ألفت : أي وجدت قتالاً ليس كقتال من لاقى . وأنا خارج غداً . فلما أيقن بمخرجي خلا به أخوه ،

(١) الضبع : العضد .

فأصبح فأرسل إليّ ، فأجاب إلى الإسلام هو وأخوه جميعاً ، وصدقا ، وخليا بيني وبين الصدقة وبين الحكم فيما بينهم، وكانا لي عوناً على من خالفني[1].

وروي أن عمرو بن العاص لما قدم على الجلندي قال له : ياجلندي إنك وإن كنت منا بعيداً ، فإنك من الله غير بعيدٍ ، إن الذي تفرد بخلقك أهل أن تُفرده بعبادتك ، وأن لا تُشرك به من لم يشركه فيك ، واعلم أنه يُميتك الذي أحياك ، ويُعيدك الذي بدأك ، وانظر في هذا النبي الأميّ الذي جاء بالدنيا والآخرة ، فإن كان يريد به أجراً فامنعه ، أو يميل به هوى فدعه ، ثم انظر فيما يجيء به : هل يشبه ما يجيء به الناس ، فإن كان يشبهه ، فسله العيان ، وتخيّر عليه في الخبر ، وإن كان لا يشبهه فاقبل ما قال ، وخف ما وعد . فقال الجلندي : إنه والله لقد دلّني على هذا النبيّ الأميّ أنه لا يأمر بخيرٍ إلا كان أول من أخذ به ، ولا ينهى عن شرٍّ إلا كان أول تارك به ، وأنه يَغْلِب فلا يبطر ، ويُغْلب فلا يضجر ، وأنه يفي بالعهد ، وينجز الموعود، وأنه لا يزال سر قد اطلع عليه يساوي فيه أهله ، وأشهد أنه نبيّ[2].

٩ - دعوة الحارث بن عبد كلال وأهل اليمن:

وبعث رسول الله ﷺ ، المهاجر بن أبي أمية إلى الحارث بن عبد كلال ، فقدم عليه ، وقال له : ياحارث إنك كنت أول من عرض عليه النبي ﷺ، نفسه ، فخطئت عنه ، وأنت أعظم الملوك قدراً ، فإذا نظرت في غلبة الملوك ، فانظر في غالب الملوك ، وإذا سرّك يومك فخف غدك ، وقد كان قبلك ملوك ذهبت آثارها ، وبقيت أخبارها ، عاشوا طويلاً ، وأملوا بعيداً ، وتزوّدوا قليلاً ، منهم من أدركه الموت ، ومنهم من أكلته النقم ،

(١) السيرة الحلبية .
(٢) الروض الأنف .

وإني أدعوك إلى الربّ الذي إن أردت الهدى لم يمنعك ، وإن أرادك لم يمنعه منك أحد ، وأدعوك إلى النبيّ الأميّ الذي ليس له شيء مما يأمر به ، ولا أقبح مما ينهى عنه ، واعلم أن لك ربّاً يُميت الحيّ ، ويُحي الميت ، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور .

فقال الحارث : قد كان هذا النبيّ عرض نفسه عليّ فخطئت عنه ، وكان ذخراً لمن صار إليه ، وكان أمره أمر سبق فحضر اليأس ، وغاب عنه الطمع ، ولم يكن لي قرابة أحتمله عليها ، ولا لي فيه هوى أتبعه له ، غير أني أرى أمراً لا يوسوسه الكذب ، ولم يسنده الباطل . له بدء سار ، وعاقبة نافعة ، وسأنظر [1] .

١٠ - دعوة أهل دبا :

دبا من أقاليم عُمان ، وكان على دَبا رجل من أساورة كسرى ، يقال له : «بستجان» وكتب لهم رسول الله ﷺ ، كتاباً جاء فيه : من محمد رسول الله إلى أهل عُمان ، سلام ، أما بعد : فأقرّوا بشهادة أن لا إله إلا الله ، وأني رسول الله ، وأدّوا الزكاة ، وخطّوا المساجد ، وإلا غزوتكم [2] .

١١ - دعوة مسيلمة الكذّاب وأهل اليمامة :

كتب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، إلى مسيلمة يدعوه وقومه بني حنيفة إلى الإسلام فأجابه مسيلمة بكتابٍ جاء فيه : من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله : سلام عليك . أما بعد : فإني أشركت معك في الأمر ، وإن لنا نصف الأرض ، ولقريشٍ نصف الأرض ، ولكن قريشاً قوم يعتدون .

---

(١) الروض الأنف .

(٢) الكامل في التاريخ : ٥/ ٢٥٥ ابن الأثير .

فقدم على رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، بهذا الكتاب رسولان ، فعندما قُرىء عليه ، قال لهما : (فما تقولان أنتما ؟) . قالا : نقول كما قال . فقال عليه السلام : (أما والله لولا أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكما)[1].

ثم كتب إليه رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : (بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب : السلام على من اتبع الهدى . أما بعد : [إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين][2].

١٢ - دعوة أمير بصرى الغسّاني ورعيته :

بعث رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، الحارث بن عمير الأزدي إلى بصرى ، فعرض له شرحبيل بن عمرو الغساني بمؤته ، فأوثقه رباطاً ، ثم قدّمه فضرب عنقه ، ولم يُقتل للنبي ، صلى الله عليه وسلم ، رسول غيره .

١٣ - وكتب ، صلى الله عليه وسلم ، إلى بني بكر بن وائل يدعوهم إلى الإسلام .

١٤ - وكتب إلى بني عمرو من حمير يدعوهم إلى الإسلام .

١٥ - وكتب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم إلى رعيّة السُّحيميّ ، فأخذ الكتاب ، ورقع به دلوه ، فبعث إليه النبي ، صلى الله عليه وسلم ، سريةً فأخذت أهله وماله ، فجاء المدينة نادماً ، فبايع على الإسلام ، وأحرز أهله .

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٣/ ٤٨٧) . أبو داود في سننه برقم (٢٧٦١) .
(٢) الأعراف : ١٢٨ .

١٦ - وبعث رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، جرير بن عبد الله البجليّ بكتابه إلى ذي الكلاع بن ناكور وإلى ذي عمرو يدعوهما إلى الإسلام ، فأسلما ، وأسلمت امرأة ذي الكلاع .

١٧ - وكتب إلى معدي كرب بن أبرهة ، وأن له ما أسلم عليه من أرض خولان .

١٨ - وكتب إلى أسقف بني الحارث بن كعب ، وأساقفة نجران ، وكهنتهم ، ومن تبعهم ، ورهبانهم .

١٩ - وكتب إلى يوحنّا بن روبة صاحب أيلة .

٢٠ - وكتب إلى أبي ظبيان الأزدي من غامدٍ ، فأجابه في نفرٍ من قومه بمكة .

وكتب إلى عددٍ من الأعيان والزعماء في المناطق المختلفة . كما كان يدعو الوفود التي تقدم عليه المدينة ، ويُبين لهم الإسلام . هذا بالإضافة إلى تبيان ما ينزل به الوحي إلى أصحابه في المدينة ، وحيثما كان .

ونشهد أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قد بلّغ الرسالة ، وأدّى الأمانة ، ونصح الأمة ، وجاهد في الله حق جهاده . وأن الدعوة نوع من الجهاد ، ولكن الجهاد ليس دعوة ، ونصحاً ، وأمانة ، وصبراً بل لابّد من القتال ، ويجب أن يكون القتال إلى جانب الدعوة ، فالدعوة لابد لها من قوةٍ تحميها ، وسيفٍ يردع المعتدين ، ومدفعٍ يشقّ الطريق أمام الدعوة للانطلاق .

وقد رأينا قدوتنا رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، أنه بدأ بالجهاد دعوةً وقتالاً منذ أن استقرّ بالمدينة حتى تُوفّي صلى الله عليه وسلم ، لم

يترك جانباً منهما بل كان التلازم بينهما . ويمكن أن نلاحظ من خلال التاريخ الإسلامي أنه عندما تكون الدعوة نشطة وانتشار الإسلام واسعاً عندما تكون حركة الجهاد واسعة ، وتضعف الدعوة مع ترك الجهاد والإخلاد إلى الأرض ، وإن نشاط الدعوة يقتضي النفير إلى الجهاد لأن الأعداء يتحرّكون مع نشاط الدعوة ليقفوا في وجهها ، وليحدّوا من نشاطها ، ويمنعوا انتشار الإسلام .

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الثالث:

عالمية الدعوة

دعا رسول الله ﷺ، كل ما جاوره، وكانت دولتا الفرس والروم تسيطران على أرجاء واسعةٍ فالروم من جهة الغرب، والفرس من جهة الشرق، وكل منهما لها الهيمنة في ناحيتها إلى أقصى المعمورة أو على الأقل لها نفوذ وصلة، وكذا كان للحبشة في داخل إفريقية، وبذا وصلت أخبار الإسلام إلى البشر كافّةً، وغدا كل إنسانٍ يطلب الحقيقة يمكنه أن يجدها، وكل امرىءٍ مطلوب منه أن يسعى وراء الحق، بل ومسؤول عن ذلك، ولا يعذر بعدم معرفته حيث يكون مُقصّراً، فمن سأل وصل، ومن تقصّى عرف. والمسؤولية يوم القيامة شديدة، فمن أُدين لقي العذاب الشديد، ولا يمكن لإنسانٍ أن يقول: لم تصل إليّ الدعوة.

ولا يمكن لعاقلٍ اليوم أن يقول: إن الأقوام التي تعيش منعزلةً داخل الغابات في المناطق الاستوائية لم تصل إليها دعوة الرسل، فهي غير مُكلفةٍ، فالله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ **وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً** ﴾[1].

(١) سورة الإسراء: الآية ١٥.

فهذه الأقوام قد جاءت إلى أسلافها الرسل فردّوا دعوتهم فسلّط الله عليهم غيرهم انتقاماً منهم لردّهم الدعوة فقاتلوهم ، ففرّوا من وجههم ، فلاحقوهم حتى ألجؤوهم إلى هذه المناطق المنعزلة الموحشة ، فعاشوا فيها خوفاً من خصومهم ، ولا تزال عندهم نزعة الخوف من كل غريبٍ أو من كل من يأتي إلى غابتهم . وهذا أيضاً شأن أولئك الذين يعيشون في المناطق الباردة الشديدة البرد سواء أكان ذلك في الشمال أم في الجنوب ، وأولئك الذين يقبعون في كهوف الجبال الشاهقة النائية ، فكلهم قد لجؤوا إلى هذه المواقع بعد أن ردّوا دعوة رسلهم فبعث الله إليهم من يسومهم سوء العذاب ففرّوا منه ، واتجهوا إلى هذه البقاع القاسية بحرّها ، أو الشديدة ببردها ، والموحشة بعزلتها ، والقليلة بمواردها ، وهذا نوع من العذاب في الدنيا ولعذاب الآخرة أشدّ .

إذن قد وصلت الدعوة إلى هذه الأقوام في السابق ، ولم يؤمنوا ، وجاءتهم الرسل ، ولم يُلبّوا ما دُعوا إليه. أما اليوم فوسائل الإعلام تصل إلى كل بعيدٍ وسهولة الانتقال تُيّسر الرحلة لكل طالبٍ ، ويُسر المعرفة تُخفّف عن كل طالب حاجةٍ ، وكل إنسانٍ مسؤول ، ويميل بالفطرة إلى التعرف عن أسرار هذا الكون ، وإلى التدين ولهؤلاء طقوس دلالةً على ذلك . فما عليهم إلا السؤال ، والتفكير . بما يُقال لهم ، والأخذ بما يتفق مع فطرتهم البشرية ، وما ينسجم مع العقل السليم من ذوي الألباب والفكر . وهذا يعني أن دعوة رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قد وصلت إليهم وهم مسؤولون .

ومع هذا فعلى المسلمين اليوم الدعوة وإبلاغها إلى كل مخلوقٍ بحاجةٍ إليها أينما كان يقيم ، وهذا نوع من الجهاد ، ومن يجد حتفه في سبيل

ذلك ، وهو يحتسب الأجر من الله ، نرجو أن يكون له أجر الشهيد ، وعلى الدول الإسلامية أن تيسر هذه الدعوة لـلأفراد ، وأن تقوم هي بمسؤوليتها بالدعم و إرسال البعثات ، وتسخير وسائل الإعلام ، وتبيان الحق ، وبذل الـوعـود ، وربما الإنذار والـوعيـد حسبما تكـون المصلحة بما يـراه القـادة والموجهّون وولاة الأمر، وهذا نوع من جهـاد الدول الإسلامية أيضاً ، وهي مسؤولة عن ذلك .

obeikandl.com